

برنامج أنوار كاشفة

سلسلة مواضيع عملية

الحلقة الثالثة والعشرون

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل لديك صديق تثق به؟ وتشاركه بهمومك و مشاغلِكَ وما يدور في ذهنك؟ تعال معي نستمع إلى هذا التقرير. فتحت عنوان الصديق الجيد يطيل عمر صاحبه، جاء من العاصمة الأمريكية واشنطن ما يلي:

أظهرت دراسة جديدة نشرتها مجلة "علم الوباء وصحة المجتمع" أن الصداقة الحقيقية تحمي الإنسان من أمراض الشيخوخة، وتمنحه عمراً أطول. فقد وجد باحثون بعد تحليل البيانات المسجلة في دراسات الشيخوخة الأسترالية، التي هدفت إلى تقويم دور العوامل البيئية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية، وتأثيرها على صحة وحيوية كبار السن، وعدد الصداقات والعلاقات الشخصية، التي حظوا بها في حياتهم، من خلال مراقبتهم لمدة عشرة سنوات:

فقد وجد الباحثون أن الأصدقاء فقط، وليس الأقرباء والأطفال والأحفاد أو عدد أفراد الأسرة، يلعبون دوراً مهماً في إطالة عمر الإنسان، وحمايته من الاضطرابات المصاحبة للشيخوخة، والتقدم في السن. ولاحظ هؤلاء أن للاحتكاك المستمر بالأطفال والأحفاد والأقارب أثر بسيط على معدلات حياة كبار السن، طوال السنوات العشر. في حين كان للأصدقاء والعلاقات الاجتماعية القوية تأثير أكبر في تحسين فرص الحياة في هذه الفترة. مشيرين إلى أن هذه التأثيرات المفيدة استمرت طوال تلك السنوات، بصرف النظر عما طرأ من تغيرات على حياة الأفراد فيها كموت شريك الحياة، أو فقدان شخص عزيز، أو رحيل الأصدقاء إلى مناطق أخرى.

ويعتقد العلماء أن هذا الأمر قد يرجع إلى التأثير القوي للأصدقاء على السلوكيات الصحية للإنسان كإقلاعه عن التدخين والكحول، أو طلب الاستشارة الطبية عند الحاجة. إضافة إلى تأثيراتهم المهمة على مزاجه، وثقته بنفسه، وقدرته على تحمل صعوبات الحياة وأحزانها.

كلنا يعرف المثل القائل: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. أفلا يصح لنا تطبيقاً لما توصل إليه الباحثون أن نقول أيضاً: الصداقة في الصغر كالنقش في الحجر. وهذا يدل على أهمية الصداقة ودورها الفعال في حياة الإنسان. فعندما يكون لك صديق حقيقي،

وأنت ما زلت في مقتبل العمر، تثق به وتلجأ إليه دائما ، فإن هذا لا بد أن ينعكس إيجابا على مستقبل حياتك. ولهذا لم يكن غريبا أن يمتدح الأدباء الصداقة، ويحضوا عليها، ويتحدثوا الكثير عن مميزاتها وأهميتها في حياة الإنسان.

والملاحظ من تقرير الباحثين، أنه حتى الأهل والأقارب وأفراد الأسر الكبيرة، لا يستطيعون أن يكونوا بديلا عن الصديق الحقيقي. لأن الصديق هو أقرب إلى الإنسان من أفراد عائلته، حيث يستطيع أن يبيث له حقيقة مشاعره، وما يواجهه من مشاكل وهموم.

ويعرّف كتاب المنجد للغة العربية الصداقة بأنها المحبة بالصدق. وليس مصادفة أن تشتق كلمة الصديق من كلمة الصدق. والصادق هو الذي لا يخون في الصداقة. والصديق هو الخل الحبيب، وهو مشتق من: صدّقه المودة والنصيحة. ولهذا جاء المثل: صديقك من صدّك لا من صدّك. أي أن الصديق هو من يكون صادقا معك، وليس الذي يصدقك في كل كلمة تقولها. وعندما يكون صديقك صادقا معك، فإنه يستطيع أن يقدم لك النصيحة المناسبة، وفي الوقت الذي تحتاج فيه إليها.

وماذا عنك صديقي المستمع، هل يوجد لديك صديق حقيقي تثق فيه ويثق بك؟ أو هل خاب أملك من صديق بعد أن وثقت به وبحثت له بهومك، وكشفت له عن أسرارك؟ وهل دفعك هذا لكي تتجنب بناء صداقة جديدة إذ لم يعد لك ثقة بأحد؟

مستمعي العزيز، هل تبحث عن صديق مخلص يكون قريب منك دائما، ولن يخونك أبدا، بل يسرع لنجدتك في كل الظروف والأحوال؟ وهل تعلم من هو هذا الصديق الحقيقي؟ كتب أحد الشعراء المسيحيين المؤمنين هذه الأبيات الشعرية التي أصبحت من الترانيم المعروفة التي تُرنم في الكنائس نقتطف منها بعض الأبيات:

يا ترى أي صديق : مثل فادينا الحبيب	يحمل الآثام عنا : وكذا الهم المذيب
هل صديق كيسوع : قادر برّ أمين	ورقيق القلب يرثي : لبلاء المؤمنين
فإذا كنا غلبنا : من جرا حمل الهموم	فلنصلّ ليسوع : نجد النصر العظيم

لقد عبّرت هذه الترنيمة عن حقيقة هامة طالما اختبرها المؤمنون بالمخلص المسيح، وهي أن المسيح هو فعلا الصديق الحقيقي للإنسان. فالمسيح هو الفادي الذي مات على الصليب، لكي يكفّر عن ذنوبنا. وهو الآن حي في السماء يشفع في المؤمنين به. ويستطيع أي إنسان يأتي إلى الله تائباً عن ذنوبه، ومؤمناً بعمل المسيح الكفاري على الصليب، أن ينال خلاص الله. ويصبح بالتالي

المسيح ليس مخلصه فحسب بل صديقه الحقيقي، الذي يواسيه ويعزيه، ويسنده في كل الظروف والأحوال. ولهذا كتب كاتب سفر العبرانيين من أجزاء العهد الجديد قائلاً:

"فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار. لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتها، بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه." (عبرانيين ٤: ٤)

لقد كان رئيس الكهنة في العهد القديم هو الوسيط بين الإنسان الخاطئ والله القدوس. لكن المسيح صار هو رئيس الكهنة الحقيقي العظيم، الذي فدى الإنسان بجسده، ثم صعد حياً إلى السماء، ليصبح هو الشفيع الوحيد بيننا وبين الله الأب. وما على الإنسان المؤمن إلا أن يأتي بثقة إلى عرش النعمة هذا، لكي ينال رحمة الله، ويأخذ العون الذي هو بحاجة إليه. وهكذا يكون المسيح المخلص هو الصديق الحقيقي للإنسان، الذي يستطيع أن يلجأ إليه في كل وقت.

مستمي العزيز، إن المسيح إذن هو الصديق الحقيقي الذي يجب أن تبحث عنه وتلجأ إليه. فهو الوحيد القادر على فهم ظروفك وأوضاعك، لأنه عاش في الأرض، وأخذ طبيعتنا البشرية لكن من دون أن يخطئ. وهو الوحيد القادر أن يواسيك في همومك، ويقدم لك الحل المناسب لمشاكلك.

ألا تود مستمي أن يصبح المسيح هو صديقك الحقيقي؟ تعال إلى الله إذن بتوبة صادقة وإيمان قلبي أكيد، بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب، وهو لن يخيب أملك به أبداً.